

## الفصل الأول: وَقَفَاتٌ مَعَ الشُّكْرِ

(الشكر - لُغَةً - هو عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها، والشكر من الله الرضا والثواب<sup>(١)</sup>).

وقال في الصحاح: الشكر الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف؛ يقال: شكرته، وشكرت له، واللام أفصح، وتشكرت له مثل شكرت له، والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل، واشتكرت السماء اشتد وقع مطرها، واشتكر الضرع امتلأ لبناً، والدابة الشكور هي التي تظهر من السمن فوق ما تعطى من العلف.

والتأمل في هذا الاشتقاق يجد في الجميع معنى: الزيادة والنماء<sup>(٢)</sup>.

### معنى الشكر

استعمال نعم الله - عز وجل - في محابه، ومعنى الكفران نقيض ذلك، ولا يتم فعل الشكر وترك الكفران إلا بمعرفة ما يحبه الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

### اسم الله - عز وجل - الشكور والشاكر

قال تعالى: لَكَ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء ١٤٧] وقال عز وجل: ﴿إِن تَرْضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ

(١) المعجم الوجيز.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص ١٤٥.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٣٠١.

شُكْرًا حَلِيمًا ﴿ [التغابن ١٧] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإنسان ٢٢]

فجمع لهم سبحانه بين الأمرين؛ أن شكر سعيهم وأناهم عليه، والله -تعالى- يشكر عبده إذا أحسن طاعته، ويغفر له إذا تاب عليه، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته؛ إنه غفور شكور<sup>(١)</sup>.

فياله من إله كريم؛ يوفق العبد للسعي في الخيرات، ثم يشكر له سعيه ذاك، بل ويثيبه عليه، ويوفقه للتوبة ثم يقبلها منه ويغفر له ما قد سلف، فأَيُّ كَرَمٍ وَأَيُّ حِلْمٍ، جل جلالك يا صاحب المنِّ والعطاء.

#### الفرق بين الحمد والشكر

الحمد - كما جاء في المعجم الوجيز - هو: الثناء بالجميل، وكما نرى من تعريف الحمد والشكر في اللغة أنهما يخرجان من مشكاة واحدة، فالمعنى متقارب والغاية منهما واحدة.

ولقد أوضح ابن القيم - رحمه الله - في كتابه البديع: (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) الفرق بين الحمد والشكر، فقال رحمه الله: الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال.

وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق بالشكر، وما به الشكر أعم مما به الحمد.

(١) عدة الصابرين ص ٢٧١.

فما يحمد الرب -تعالى- عليه أعم مما يشكر عليه؛ فإنه يحمد على أسمائه صفاته وأفعاله ونعمه ويشكر على نعمه، وما يحمد به أخص مما يشكر به؛ فإنه ينكر -سبحانه- بالقلب واللسان والجوارح، ويحمد بالقلب واللسان<sup>(١)</sup>.

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الحمد يتضمن المدح والثناء على الحمود بذكر محاسنه؛ سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان.

والحمد يكون بالقلب واللسان؛ فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، وفي الحديث: الحمد لله رأس الشكر<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»<sup>(٣)</sup>.

ولو أردنا أن نقف مع كلام الشيخين الجليلين بشيء من التبيان لهذه المعاني نفيسة لقلنا وبالله التوفيق:

(١) عدة الصابرين ص ١٤٧.

(٢) (ضعيف): ضعيف الجامع ٢٧٩٠.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٧٣٤.

(٤) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ص ٣٨ - ٣٩.

أولاً: كلام ابن القيم رحمه الله تعالى:

يقول الشيخ: إن الشكر جانب الفعل فيه أقوى من جانب القول؛ فإن المرء قد يحصل معنى الشكر بفعل ما دون التلفظ بكلمات الشكر، وقد يجمع بين القول والفعل لكن جانب الفعل فيه يزيد على جانب القول.

أما الحمد فجانب القول فيه يزيد على جانب الفعل؛ حيث يتحقق الحمد غالباً بالأقوال التي تشتمل عليه.

كما يقول: إن متعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد، أي: إن الشكر سببه ووسائله أكثر من الحمد؛ فإن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح في حين أن الحمد هو من أعمال القلب واللسان.

وفي الوقت نفسه فإن ما يحمد عليه الرب -تعالى- أعم مما يشكر عليه؛ لأننا نحمده -عز وجل- على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، بينما الشكر يكون على النعمة فحسب .. والله أعلم

ثانياً: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ يقول الشيخ: إن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود، أي: المستحق للحمد ويكون ذلك بذكر محاسن هذا المحمود سواء أحسن إلى من يحمده أو لم يحسن؛ حيث إنه -أي: المحمود- مستحق للحمد في ذاته دون النظر إلى الإحسان.

أما الشكر فلا يكون إلا على الإحسان من المشكور إلى الذي يشكره؛ فإن لم يوجد الإحسان لا يوجد الشكر.

وبهذا يكون الحمد من هذا الوجه أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والصفات التي لا تتبدل في المحمود وعلى الإحسان إن وجد، أما الشكر فإنه يرتبط بحصول الإنعام.

هذا من جهة الأسباب ولكن هناك جهة أخرى وهي جهة الأنواع؛ حيث نجد فيها الشكر أعم من الحمد، فالشكر يتأتى بالقلب واللسان والجوارح بينما الحمد يتأتى بالقلب واللسان، والله أعلم.

### أقسام الشكر

لقد علمنا -الآن- أن للشكر أنواعاً وأقساماً ثلاثة؛ وهي: الشكر بالقلب والشكر باللسان والشكر بالجوارح، فماذا نعني بكل منها؟

يجيب عن هذا السؤال الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي<sup>(١)</sup>: والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

أما بالقلب فهو أن يقصد الخير، ويضمرة للخلق كافة.

وأما باللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد.

وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقى من الاستعانة بها على معصيته؛ فمثلاً شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه؛ فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء.

وهذه الأقسام سوف نأتى عليها بالتفصيل إن شاء الله تعالى في سياق الكتاب.

(١) في كتابه: مختصر منهاج القاصدين ص ٣٠٠.

## أركان الشكر

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان؛ لا يكون شكوراً إلا بمجموعها، أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني: الثناء عليه بها، والثالث: الاستعانة بها على مرضاته<sup>(١)</sup>.

أي: إن هناك أركاناً ثلاثة؛ لا يتم الشكر إلا بها مجتمعة:

أولها: الاعتراف بنعم الله وعدم جحودها وإنكارها؛ حيث إنه من غير المعقول أن يشكر الإنسان ربه على شيء ينكره؛ ولا يقر بوجوده، ولا بكونه من فضل الله عليه.

ثانيها: الثناء على الله بها، أي: إن المرء لا بُدَّ له أن يثنى على الله -عز وجل- بما هو أهل له -سبحانه- حين ينعم عليه، ونحن مأمورون بذلك بنص القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى ١١].

ثالثها: الاستعانة بهذه النعم التي وهبها الله -عز وجل- لنا على فعل الصالحات التي تبلغنا رضاه عز وجل.

## الشكر من شروط العبودية لله عز وجل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة ١٧٢]

(١) عدة الصابرين ص ١٤٥.

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل ١١٤]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت ١٧]  
وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر ٦٦]

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَمَّا قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ<sup>(١)</sup>: "أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا".

ونرى من هذه الآيات الكريمة والحديث الشريف كيف أن الشكر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبودية الخالصة لرب العالمين؛ فالعبودية لا تكتمل إلا بالشكر لله عز وجل، وكيف لا وقد علمنا فيما سبق أن الشكر عكسه الكفر، ويستحيل أن تجتمع العبودية لله مع الكفر في قلب إنسان، فهما طرفا نقيض.

ففي الآيتين الأولى والثانية نجد: إن الشرطية، والتي يعنى وجودها أن كمال العبودية لله لا يكون إلا بأداء الشكر لله على نعمه وعطاياه -عز وجل- وفي الآيتين الثالثة والرابعة نجد أمراً مباشراً من المولى -عز وجل- لنا بالعبادة والشكر

(١) (صحيح): البخارى ٤٨٣٧، مسلم ٢٨٢٠.

فيقول: ﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت ١٧] ويقول ﴿بَلِ اللّٰهُ فَأَعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر ٦٦]

واقتران الأمر بالعبادة بالأمر بالشكر فيه دلالة على عظم شأن الشكر عند الله -عز وجل- وأنه من الأركان الهامة التي تقوم عليها العبادة الخالصة لله - سبحانه وتعالى.

ونجد في الحديث الشريف قوله ﷺ: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً، فقدم رسول الله كونه عبداً لله على شكره له؛ حيث إن العبودية لله -تعالى- هي عز المرء في الدنيا والآخرة، وهي مكانة سامية؛ طوبى لمن يرقى إليها، وإذا استشعر المرء هذه المعاني، واستشعر عظمة المعبود -سبحانه- انطلق اللسان بالشكر، وامتألت القلب به، وتنافست الجوارح في أدائه.

### الشكر تقيضه الكفر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكُمْ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم ٧]

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جِنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكٰفِرِينَ﴾ [سبأ ١٥-١٧]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان ٣]

وهكذا نرى من هذه الآيات الكريمة أن الله - عز وجل - جعل أمر الإنسان بين حالين؛ إما أن يكون شاكرًا لله على نعمة معترفًا بها، وإما أن يكون كافرًا بها منكرًا لها وشتان شتان بين الفريقين.

فالشاكر مقرب إلى ربه؛ والكافر بعيد كل البعد عن مولاه موكل إلى نفسه جريء على الله جرأة لا يملك من مقوماتها شيئًا؛ فالله - عز وجل - هو خالقه من العدم وهو رازقه وهو - عز وجل - الذى يميتة لا محالة، فالموت حقيقة أزلية لا يمكن لإنسان أن ينكرها، وبعد كل ذلك لا يرعوي ولا يخبت لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٨].

#### جحود النعمة ظلم للنفس

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ [إبراهيم ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ

بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام ٣٣]

فالجاحد لنعم الله - عز وجل - عليه ظالم لنفسه أشد الظلم؛ فهو في الدنيا معذب لا ينعم بلذة الطاعة والرضا وسكون النفس؛ حياته ضنك وإن توفرت له كل مقومات الحياة الرغد، وهو في الآخرة محاسب على تلك النعم مستول عن كل

كبيرة وصغيرة، أي: أنه بجحوده يورد نفسه موارد الهلاك في الدنيا والآخرة، فأبي ظلم للنفس هو أكبر من ذلك!.

### كفر النعمر يوجب غضب الرب

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

إذن فالله -عز وجل- يرضى لعبده أن يكون شاكراً، ولا يرضى له الكفر؛ بل إن كفره ذلك يكون سبباً في غضب الله عليه وسخطه.

كما أن من يكفر بما أنزل الله على نبيه ﷺ يستحق غضب الله عليه، فالنبي ﷺ وما جاء به نعمة كبرى تستوجب الشكر الجزيل.

ولما كان هؤلاء قد كفروا به ﷺ حسداً وحقداً من عند أنفسهم واستكباراً عن اتباع الهدى؛ فقد استوجب فعلهم أن يصب الله عليهم غضبه، ويعد لهم في الآخرة عذاباً مهيناً، فالكبرياء لله وحده عز وجل.

### الكافر مخلف وعده

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَنْ أُنْجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنْ كُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ\* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤].

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَنْ آتِيَنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ\* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

[الأعراف ١٨٩-١٩٠].

وفي هذه الآيات ومثيلاهما نجد أن الله -عز وجل- يوضح لنا كيف أن الإنسان ظلوم كفار يقابل نعمة الله عليه وفضله بالكفر والنكران حين تغلق في وجهه كل الدروب وتشد به البلايا والخطوب، يلجأ إلى قيوم السموات والأرض يتضرع إليه ويسأله من فضله ويعده بالشكر العظيم، إن رفع عنه ما هو فيه من بلاء، ويستجيب له المولى القدير وينجيه ويحسن إليه رغم علمه -عز وجل- بما سيكون من ذلك الكفور، وإذا بذلك الجاحد يخلف وعده مع الله، ويجعل له شركاء في فضله عليه فيهلك نفسه، ولا يضر الله شيئا؛ فالله غني عن عباده.

وأرى أن من أهم أسباب ما يقع فيه هؤلاء من إخلاف الوعد مع الله -عز وجل- كوفهم لم يقدروا الله حق قدره؛ لأنهم لو استشعروا عظمة من يدعون ويعاهدون لما تجرأوا على ذلك الأمر، بل ولما اشترطوا على الله النجاة مقابل الشكر، فالله -عز وجل- مستحق للشكر لذاته -عز وجل- ويجب أن يشكر ويمجد في السراء والضراء على السواء.

## من الناس من يعبد الله على حرف

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج ١١].

هذا صنف من الناس لم يعرف معنى التأدب مع الله - عز وجل - فهو يعبد الله - عز وجل - بقدر ما يأتيه من خير؛ فإن أنعم الله عليه شكر واطمأنت نفسه، وإن نُزِعَ منه ذلك الخير أو اثبلى بأى نوع من البلاء تَرَ حاله تنقلب إلى النقيض.

فهو يريد أن تسير حياته على مراده هو ولا يرضيه أن تكون حياته على مراد الله - عز وجل - وذلك لا محالة يصيبه الخسران في دنياه وأخراه؛ فإن العاقل من يدرك أنه لو وكل لنفسه طرفة عين هلك.

فاللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين أو أقل من ذلك وارزقنا الرضا بقضائك وهب لنا قلوبًا وألسنًا تلهج بشكرك في السراء والضراء.

## وقليل من عبادي الشكور

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس ٦٠].

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

[المؤمنون ٧٨].

قال الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ ١٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾

[النمل ٧٣].

فالله -عز وجل- يؤكد لنا في محكم التنزيل أن الشاكرين قليل من عباده، والكثير منهم لا يشكرون.

وذلك يدل على علو مرتبة الشكر، وأن الوصول إليها يتطلب الكثير من البذل بالقلب واللسان والجوارح كما يوضح لنا عظيم نعمة الله علينا ومنته التي تفوق بكثير قدرتنا على شكرها، ولقد ذكر الإمام ابن القيم<sup>(١)</sup> أن [الإمام أحمد ذكر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من الأقلين، فقال: ما هذا؟ فقال يا أمير المؤمنين إن الله قال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ ١٣] وقال: ﴿إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص ٢٤] فقال عمر: صدقت].

## فعل إبليس اللعين حين عرف قدر مقام الشكر

لما طرد إبليس اللعين من الجنة ومن رحمة ربه -عز وجل- جزاء تكبره وعصيانه أمر ربه توعد أن يقعد لبني آدم بكل صراط؛ وأن يصدّهم عن طريق الله وأن يعمل بكل طاقته على إضلالهم؛ حتى لا يكون منهم من يشكر الله إلا القليل، وهم عباد الله المخلصون فقال عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَبَيِّنَّ لَهُمْ مَن بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٦-١٧].

وقال الإمام ابن القيم في ذلك<sup>(١)</sup>: [ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجلّ المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه] إذن فمن غايات إبليس الرجيم الكبرى صد الناس عن شكر الله -عز وجل- وله في ذلك وسائل عدة:

فقد يلقي في قلوب بعض الناس الكبر الذي يحول بينهم وبين الاعتراف بأن الله هو صاحب النعم، وبالتالي فإن هؤلاء المتكبرين يستنكفون عن شكر المولى عز وجل، وقد يوهم البعض أنهم لا يستطيعون شكر النعمة فيحرمون أنفسهم من طيبات الرزق التي أحلها الله.

(١) عدة الصابرين ص ١١٦.

وقد يلقي في قلوب البعض الخوف من الفقر والحاجة، فيجعلهم يمسكون ولا يؤدون شكر ما لهم بالإنفاق في سبيل الله .. إلى غير ذلك من سبله الحقيرة لعنه الله.

وعلى المؤمن أن يكون يقظاً حيال تلك المكائد فلا يُمكن الشيطان من قلبه ولا من عقله، وذلك بالتمسك بحبل الله -عز وجل- والاستعصام به -سبحانه- والاستعاذة به -عز وجل- من شر الشيطان ومكره.

### الله عز وجل غنيُّ عنا

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [ابراهيم ٨].

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء ١٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان ١٢].

من هذه الآيات نرى أن الله -عز وجل- وصف نفسه بأنه هو الغني عن جميع خلقه، غني عن طاعتهم، وغني عن شكرهم، وغني عن عذابهم إن آمنوا وشكروا

برغم غناه - عز وجل - عن خلقه فإنه سبحانه رحيم كريم حميد يشكر للعبد أعماله الصالحة ويجزل له العطاء والثواب عليها؛ رغم أن هذه الأعمال تعود بالنفع على صاحبها، ولا تنفع الله - عز وجل - كما لا تضره المعصية سبحانه.

فالعبد أفقر ما يكون لفضل ربه وأحوج ما يكون لرضوانه، والله - عز وجل - أغنى الأغنياء عن خلقه؛ وبرغم ذلك نجد - سبحانه - يرزق العبد وينعم عليه ثم يوفقه للطاعة ولشكر النعمة، ثم يثيبه على ما أعطاه؛ فأبي كرم وأي فضل من المنان! أفلا تستحي أيها الإنسان من كريم تبادره بالعصيان وتبوء بالجحود والنكران؟!.

### لعلكم تشكرون

نجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: (لعلكم تشكرون) وغالبًا ما تكون ختامًا لآية من الآيات التي يعدد الله - عز وجل - فيها نعمه وآلائه على خلقه، فالله - عز وجل - يذكر الإنسان بفضله - سبحانه - عليه وينعمه التي لا تحصى.

وفي ختام الآية يبين له أن عليه شكر تلك النعم؛ فالشكر بدونه لا تكتمل العبودية الخالصة لله؛ فلا يُدَّ للمرء حين يتذكر نعم الله عليه أن يؤدي شكرها بالقول والفعل.

### الشكر من صفات أولى النهي

إن اللبيب هو من يدرك أن الغاية من وجوده في هذه الدنيا هي عبادة الله - عز وجل - فالله ما خلق الإنس والجن إلا ليعبدوه - سبحانه - ولا يشركوا به؛ ومن

يدرك تلك الحقيقة فهو من أولى النهي، ومن كان من هؤلاء فإنه يستلمس - بما وهبه الله من نعمة الفهم - الأسباب التي تقربه من ربه، ويتحرى كل سبيل لمرضاته - عز وجل - وسوف يدرك لا محالة أن الشكر من أعظم تلك السبل ومن أهم تلك الأسباب. وحينها يجب عليه أن يشكر الله - عز وجل - أولاً على نعمة الفهم عن الله، وأن هداه الله لذلك، ثم يجتهد بعد ذلك في الطاعات القلبية والقولية والعملية التي ينال بها رضوان الله - عز وجل - اللهم اجعلنا من أولي النهي آمين.

### الإعراض والشكر لا يجتمعان

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤُوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣].

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وفي هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن هناك صنفاً من الناس إذا أنعم الله عليه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة أعرض عن شكر تلك النعم واستكبر على طاعة الله عز وجل، وإذا مسه الشر امتلأ قلبه باليأس والقنوط، وظن أنه لن يناله خير من ربه بعد ذلك.

وهذا الصنف أمره عجب؛ فهو في الحالتين ظالم لنفسه فهو حال الإنعام لا يشكر، وفي حال الابتلاء لا يبصر ولا يرضى بقضاء الله، وهذا الصنف وصفهم الله - عز وجل - بالكفر كما في الآية السابقة من سورة يوسف.

نسأل الله العافية، وهذا الوصف الإلهي بالكفر إنما يأتي من كونهم جحدوا نعمة الله -عز وجل- ومن ثم استكبروا عن شكرها، والله -عز وجل- لا يحب المستكبرين؛ لأن الكبرياء له وحده -سبحانه- ومن سولت له نفسه المريضة أن ينازع الله -عز وجل- فيه استحق ذلك الوصف.

وهناك سبب آخر لوصفهم بالكفر وهو انعدام اليقين لديهم بقدره الله -عز وجل- على أن يعطيهم أكثر مما أخذ منهم لو شاء فهو -سبحانه- صاحب الخزائن التي لا تنفذ؛ وصدق رسول الله ﷺ حين وصف حال المؤمن؛ فَعَنُ صُهَيْبُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١): «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» فشتان شتان بين الأمرين.

### بطر النعمة من أسباب الإهلاك

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا قَتَلَكُم مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص ٥٨].

قال الله تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ \* كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِنَّ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾ [الدخان ٢٤-٢٨]

ولقد ورد في: مختصر تفسير ابن كثير في تفسير آية سورة القصص، يقول تعالى  
 معرضًا بأهل مكة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص ٥٨] أي: طغت  
 وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق كما قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ  
 مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ  
 لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ \* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ  
 وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل ١١٢-١١٣]

ولهذا قال تعالى: ﴿قَتَلَكُم مَسَاكِينَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص ٥٨]  
 أي: دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾  
 [القصص ٥٨] أي: رجعت خرابًا ليس فيها أحد.

ويقول - رحمه الله - في تفسير آية سورة الدخان: [وقوله عز وجل: ﴿وَأَتْرَكُوا  
 الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان ٢٤]

وذلك أن موسى - عليه السلام - لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى  
 أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان؛ ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون، فلا يصل  
 إليهم فأمره الله - تعالى - أن يتركه على حاله ساكنًا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه،  
 وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ [الدخان ٢٩]  
 أي: البساتين، ﴿وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾ [الدخان ٢٩] وهي الأنهار والآبار، ﴿وَمَقَامٍ

كَرِيمٍ ﴿ [الدخان ٢٩] وهى المساكن الحسنة: ﴿ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِرِينَ ﴾ [الدخان ٢٩] أي: عيشة كانوا يتفكحون فيها فيأكلون فيها ما شاءوا، ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد فسلموا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفازقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير].

ومن ذلك يتضح لنا أن بطر النعمة من أهم أسباب الإهلاك والنماذج من الأمم السابقة التى أوردها القرآن الكريم دليل دامغ على ذلك كما كان الحال فى هذين المثليين؛ فكلاهما يوضح لنا أن بطر النعمة ونكرانها والكفر بها لا يأتى إلا بالخسران فى الدنيا والآخرة، وأن الله لا يظلم الناس شيئاً؛ ولكنهم أنفسهم يظلمون.

#### وقفه مع سورة التكاثر

قال الله عز وجل: ﴿ أَهَّاكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* تَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ تَرَوُّهَا عَيْنِ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَسَأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر ١-٨].

فمن أهم الأمور التى قد تصرف المرء عن الشكر الانشغال بنعيم الدنيا والانغماس فيه فى حين يغفل عن المنعم الذى أعطاه كل ذلك. ولا يستفيق إلا عند الموت ودخول القبر، فتكون الحسرة والندامة حيث لا ينفع الندم.

والتكاثر قد يكون فى الأموال أو الأولاد أو الأنساب إلى غير ذلك من أسباب التفاخر والتباهى بين الناس، فكل طرف يريد أن يظهر للآخر أفضليته عليه بماله أو

بولده أو بنسبه، ولا يدرك هؤلاء أن كل ذلك من فضل الله عليهم وليس لهم فيه أدنى فضل؛ فلو شاء الله بهم غير ذلك لكان، فهو - سبحانه - فعال لما يريد.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (١): يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي؛ إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَقْتَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَقْتَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكٌ لِلنَّاسِ.

وفي هذا الحديث لمن لا ينطق عن الهوى؛ الذي أوتى جوامع الكلم ﷺ تلخيص لأمر المال الذي هو أكثر الأمور التي تشغل الناس في دنياها، والذي قد يكون وبالاً على الكثير منهم إذا صار هو جل شغلهم.

فيوضح ﷺ أن المال على ثلاثة أقسام ما ينفقه المرء على مأكله، وهو في النهاية إلى زوال، وما ينفقه على ملبسه وهو إلى البلى، والقسم الثالث وهو القسم المحمود من المال الذي يتصدق به الإنسان خالصاً لوجه الله - عز وجل - والتصدق هنا إنما يأتي بمفهومه الواسع في كل وجوه الخير والطاعة والإصلاح؛ حتى ما ينفقه المرء على أهله وأولاده بنية التقرب بصلاحهم إلى الله عز وجل، وذلك القسم من المال هو الذي يبقى للمرء عند ربه الذي ينمي ويضاعفه له أضعافاً كثيراً لا يعلمها إلا هو وحده.

فعلى المرء إذن ألا يشغله نعيم الدنيا عن السعي في طلب الآخرة، وليعلم أنه مسئول عن ذلك النعيم أمام الله كما جاء في ختام هذه السورة المباركة "ثم لتسألن يومئذ عن النعيم".

(١) (صحيح): مسلم ٢٩٥٩.

والنعيم ليس المال فقط، ولكنه كل ما يتنعم به في الدنيا من المال والولد والصحة والجوارح والعلم وصلاح البال إلى غير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

[وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَسْأَلَنَّا يَوْمَهُدِ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] أي: لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته].

ومن عجيب تأثير هذه السورة على أولى الفضل ما روى عن ابن المبارك<sup>(١)</sup>: (قال نعيم بن حماد: قال رجل لابن المبارك: قرأت القرآن البارحة في ركعة، قال لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر (ألهاكم التكاثر) إلى الصبح ما قدر أن يتجاوزها - يعني: نفسه) فأين نحن - أحيى - من هذه الآيات!؟.

### لئن شكرتم لأزيدنكم

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وإلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُبَعَثَنَّ عَلَيَّهِمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وقوله

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٧)، نقلاً عن كتاب رهبان الليل (١ / ٤٦٧)، الدكتور سيد العفاني.

تعالى: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها: ﴿وَلَنْ كَفَرْتُمْ﴾ أي: كفرتم النعم وسترتموها ووجدتموها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها].

إذن فالله -عز وجل- جعل أمر العبد بين حالين؛ إما الشكر أو الكفر كما سبق أن ذكرنا، وفي هذه الآية أوضح المولى -عز وجل- جزاء كل من الفريقين فتعهد -سبحانه- للشاكر على نعمه بزيادة تلك النعم، والزيادة تلك لا يعلم قدرها إلا الله عز وجل، كما توعد الكافر الجاحد للنعم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

إذن فبقاء النعمة وزيادتها مشروط بشكرها؛ فعلينا أن نتنبه لذلك، ونعلم أننا بطاعتنا لله -عز وجل- واتباع أوامره واجتناب نواهيه ننال بذلك موعود الله بالزيادة؛ والتي لم يحددها المولى -عز وجل- ويعنى ذلك أنها زيادة عظيمة؛ لأن العلماء يقولون: إن الثواب أو الجزاء إذا ذكر على الإطلاق ولم يحدد فذلك يعنى عظم ذلك الجزاء، والمؤمن يثق بموعود ربه، ولا يتعجل فلعل الله عز وجل يدخر له الخير الكثير.

ولقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: [ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الدينى أراد ما يريد<sup>(١)</sup>].

(١) نقلاً من كتاب طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٤٨.

وقال: [فتوكل عليه وحده وعامله وحده وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفاً بها مستلماً لأركانها واقفاً بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع -سبحانه- على ذلك من قلبك، ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه وخلع أفضاله: (١) اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبمحمدك].

كلمات جليلة تستحث المرء على التزام الشكر لصاحب النعم -سبحانه- وتوضح أن فيه الخير كل الخير في الدنيا والآخرة، فيا فوز من عقله، وبالحُسران من جهله.

وعلى الجانب الآخر نجد كيف أن المعاصي والذنوب تكون سبباً مباشراً لزوال النعم وللحُسران في الدارين.

ولقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذلك: [ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب كما قال على ابن أبي طالب رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة" (٢)].

وقال رحمه الله: [ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة؛ فتزيل الحاصل وتمنع الواصل؛ فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استُحلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

(١) (صحيح) البخاري ٦٦١٥، مسلم ٤٧٨.

(٢) الداء والدواء ص ٨٠.

وقد جعل الله لكل شيء سبباً وآفة سبباً يجلبه وآفة تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفات المانعة منها معصيته؛ فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بما<sup>(١)</sup>.

كلمات نفيسة من شيخ جليل لا يجد المرء ما يقوله بعدها، فقد أوضح -رحمه الله- كيف أن زوال النعم من عقوبات المعاصي والذنوب فمعصية الله -عز وجل- تزيل نعمه الموجودة بالفعل بسلبها من صاحبها كما تمنع النعم التي توهب لذلك العبد العاصي، فالله -عز وجل- هو صاحب الملك يعطي ويمنع كيف يشاء سبحانه.

كما أوضح أن للنعمة أسباباً تجلبها وهي الطاعات، ولها آفات تبطلها وهي الذنوب والمعاصي؛ فإذا أراد الله -عز وجل- بعبد خيراً أعانه على الطاعة وهداه إلى سبيلها، فكانت بذلك سبباً لحفظ نعمة الله عليه، وإن أراد به غير ذلك خذله؛ حتى يقع في المعصية التي تكون سبباً في زوال النعمة.

فالله -عز وجل- أعلم بنفوس عباده ونواياهم وهو -سبحانه- صاحب الفضل أولاً وأخيراً وهو المتصرف في شئون عباده، وله الحكم ولا يسأل عما يفعل.

فألهم وفقنا إلى طاعتك وهيئ لنا السبل لذلك، فلا حول ولا قوة لنا إلا بك، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ: <sup>(٢)</sup> عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ

(٢) الدعاء والدعاء ص ١٢٠.

(٢) (صحيح) أبو داود ١٥٢٢.

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١): اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

### كذلك نجزي من شكر

قال الله عز وجل: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٤].

وقال عز وجل: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٥].

فأطلق - سبحانه وتعالى - جزاء الشكر ولم يعلقه على المشيئة وذلك كما أسلفنا يدل على عظم الجزاء من الله عز وجل.

ولقد ورد ذلك المعنى في كتاب: (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) لابن القيم، فقال: [وقد وقف - سبحانه - كثيراً من الجزاء على المشيئة كقوله: ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيكَمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقوله في الإجابة: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِنْ شَاءَ﴾ وقوله في الرزق: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾، وفي المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، والتوبة: ﴿ثُمَّ تَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً؛ حيث ذكر قوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾].

(١) (صحيح) مسلم ٢٧٢٦.

وما دام الله -عز وجل- قد أطلق الجزاء الشاكرين فلا أحد يستطيع أن يعلم له حداً أو منتهى، والجزاء منه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون في الآخرة.

أما جزاء الآخرة فلا يستطيع أحد أن يحدده أو يصفه أو يتبأ به على وجه الدقة؛ فذلك من الأمور الغيبية التي يجب أن تؤمن بها والتي لا يكتمل الإيمان إلا بها.

ولكن يمكننا القول من وحى القرآن والسنة أن الجزاء عظيم؛ لأنه من رب كريم وصف نفسه -عز وجل- بأنه شكور، أي: أنه يشكر للعبد ما يكون منه على قلته، فإذا فعل العبد الطاعة مبتغياً بها وجه الله -عز وجل- راجياً بها بلوغ مرضاته أثابه المولى عليها ثواباً كبيراً وقربه وجعل له خصوصية بين العباد، قال عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وما دام هؤلاء كذلك، فلا محالة أن الله يعد لهم نعيماً مقيماً وفوزاً عظيماً؛ لأنهم لم ينشغلوا بالنعمة عن المنعم، ولم ينقلبوا على أعقابهم حين الابتلاء بل ثبتوا وربطوا فاستحقوا بفضل الله وكرمه ذلك الفوز.

وأما جزاء الدنيا فله صور متعددة لا نستطيع أن نحصرها على وجه الدقة، ولكن نسأل الله -عز وجل- التوفيق في أن نستشف بعضها ومن ذلك:

## ١- محبة الله - عز وجل - ورضاه

فإن الله - عز وجل - يحب من عبده أن يشكره على نعمه التي وهبه إياها ويرضى منه ذلك كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] وما دام الله - عز وجل - يرضى لعبده الشكر فيعني ذلك أنه - عز وجل - يوفق العبد الشاكر لأسباب الشكر فيصير شاكرًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه ويبدل من الطاعات ما يكون سببًا لأن يدينه الله - عز وجل - ويقربه ويدخله دائرة الرضوان التي هي أعظم جزاء، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وما زال العبد في تلك الحال من التقرب إلى الله؛ حتى يصل إلى غاية المنتهى ألا وهي محبة الله - عز وجل - وكفى بها غنمًا، وذلك المعنى ورد في الحديث القدسي؛ فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: <sup>(١)</sup> «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ <sup>(٢)</sup> أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ <sup>(٣)</sup>».

(١) (صحيح): البخاري ٦٥٠٢.

(٢) عبدي: للقراب، الله يتودد إليك... فلماذا لا تتقرب إليه؟ عبدي أي: العبد المكلف الطائع.

(٣) يكره الموت وأنا أكره مساءته: لما يلاقيه المؤمن من صعوبة وكربة فيه، وليس كره الموت نفسه؛

فالموت يفضي به إلى مغفرة ربه ورحمته، فكان عمرو بن العاص يقول: كاتي اتنفس من خرم

ولقد ذكر الامام ابن الجوزي ما نصه: [وأوحى الله -تعالى- إلى داود عليه السلام: يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي بالمقبلين عليّ! <sup>(١)</sup>].

كرّم لا يكون إلا من مالك الملك الكريم الحليم المتفضل علينا برغم غناه عننا، وبرغم فقرنا إليه. عسى أن تكسر هذه الكلمات أفعال القلوب لنقلع عن معاصينا ونتوب و إلى صراط ربنا نؤوب، ونكون ممن أقبلوا على رحيم بأداء الطاعات وهجر الذنوب.

## ٢ - حفظ النعمة وزيادتها

فالشكر كما ذكرنا -أنفاً- يكون سبباً مباشراً في حفظ النعمة وبقائها بل وزيادتها.

وذكر عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال لرجل من همدان: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن؛ فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"، وذكر أن عمر بن عبد العزيز قال: "فقدوا نعم الله بالشكر" <sup>(٢)</sup>. فالشكر -إذا- حافظ للنعم سبب في زيادتها.

إبرة، وقيل: المساء أنه طول العمر وأرذله، وقيل: عدم الإسراع بقبض روحه؛ حتى لا يسيئه، وقيل:

لا يقبضه؛ حتى يحب الموت ولقاء ربه.

(١) التبصرة (١ / ٢٥).

(٢) عدة الصابرين ص ١١٩.

## ٣- الشكر منجاة لصاحبه

هناك العديد من الأمثلة القرآنية التي تدلنا على أن الشكر ينجي صاحبه بأمر الله -عز وجل- من المهالك منها:

ما كان مع نبي الله نوح -عليه السلام- حيث وصفه الله -عز وجل- بأن كان عبداً شكوراً فقال عز وجل: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

ونحن نعلم أن الله نجى نوحاً ومن آمن معه في الفلك، وأغرق من دونهم ولم يبق على وجه الأرض إلا تلك الفئة المؤمنة المتبعة لسيدنا نوح والسائرة على هديه من العبودية والشكر، فنجد أن من كان شاكراً لأنعم الله على رأسها نعمة التوحيد والإيمان به -عز وجل- نجى، وأن من كفر واستكبر هلك.

ومنها ما كان مع قوم لوط فلقد قال عنهم وهم جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ\* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ\* نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٣-٣٥]

فبين الله -عز وجل- أن النجاة كانت من نصيب الشاكرين نعمة منه -عز وجل- وجزاء لهم على شكرهم.

ومنها ما كان من أمر سيدنا إبراهيم الخليل حين أنجاه الله -عز وجل- من كيد المشركين حين أرادوا أن يلقوه في النار العظيمة التي أعدوها خصيصاً له، وبالفعل ألقوه فيها على مرأى ومسمع من الناس، ولكن الله -عز وجل- أمر النار أن

تكون بردًا وسلامًا على خليله فكانت، ونجاه الله -عز وجل- بقدرته؛ لأنه كما وصفه ربه كان شاكراً لله -عز وجل- على أنعمه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ\* شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

#### ٤- السعادة

فالعبد حين يكون شاكراً لله يكون طيب النفس مستريح القلب تغلوه السكينة والطمأنينة يشعر بالرضا عن الله ويسلم بقضائه في كل حال؛ فهو على يقين بأن ما عند الله هو خير له.

وتلك الأمور تجعل منه عبداً ربانياً لا يحمل هم الرزق، ولا يخشى الفقر وينفق راضياً سعيداً لا يحزن على ما فاته من الدنيا، ولا يفرح بما إن هي أقبلت عليه بل يُسَخِّرُ كل ما أتاه الله من النعم لمرضاته، ويستعملها في كل ما يقربه منه -عز وجل- وإذا أنعم الله عليه بجلاوة القرب منه فثم السعادة الكبرى، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميمت القلوب      وقد يورث الذل إدمانها  
وترك الذنوب حياة القلوب      وخير لنفسك عصيانها

#### الحمد

لقد تناولنا قبل ذلك ما قاله العلماء في الفرق بين الحمد والشكر، وعلمنا أن الحمد هو أخص بالأقوال، وأنه يكون بالقلب واللسان دون الجوارح، وأن الله -

عز وجل - يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه والقرآن العظيم يزخر بالعديد من الآيات التي تتناول موضوع الحمد وعلى رأسها سورة الفاتحة؛ التي هي أم الكتاب نراها تبدأ بالحمد وكذلك سورة الكهف وسورة الفرقان وسورة فاطر وسورة سبأ.

ولقد أمرنا المولى -عز وجل- بحمده كما أمرنا بشكره، ومن الآيات التي فيها أمر إلهي بالحمد قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت ٦٣]

وقوله عز وجل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَبِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[النمل ٩٣]

وقوله سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾

(٥٩) ﴿[النمل ٥٩].

وغيرها من الآيات الكريمة التي تحمل أمراً إلهياً بالحمد؛ فالعبد يجب عليه أن يحمد ربه كما أمر؛ وإن لم يفعل كان عاصياً لأمر الله -عز وجل- ناقص الإيمان.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة ١٥]

[السجدة ١٥]

فجعل المولى -عز وجل- حمده شرطاً للإيمان، فالعبد لا يكون مؤمناً إلا بتحقيق الحمد لله -عز وجل- على أسمائه الحسنی وصفاته العلی وعلى نعمه وآلائه

وأفعاله؛ فهو وحده - عز وجل - المستحق للحمد لذاته وصفاته المتره عن كل نقص؛ ولذا.. نجد الحمد مقروناً في كثير من الآيات بالتسبيح كما في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر 7]

وكقوله عز وجل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ \* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم ١٧-١٨].

[فالتسبيح لله هو تزيهه - عز وجل - وقولنا: سبحان الله، معناه التزيه لله، وهو نصب على المصدر كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة<sup>(١)</sup>].

فالله - عز وجل - لكونه مترهاً عن كل نقص مبرأً من كل عيب وليس ذلك إلا له وحده - سبحانه وتعالى - استحق أن يكون الحمد له وحده؛ ولذلك نجد الحمد والتسبيح مقترنين في الكثير من الآيات والأحاديث والأدعية كما قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ»<sup>(٢)</sup>: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم «الميزان أي: ميزان الحسنات يوم القيامة».

وكان مما وصى به خليل الله إبراهيم نبينا ﷺ وعلى الخليل وسلم تسليمًا كثيرًا في رحلة الإسراء والمعراج كما روى عن ابن مسعود -رضى الله عنه-؛ قال: قَالَ:

(١) مختار الصحاح ٢٨٢.

(٢) (صحيح): البخارى ٦٤٠٦، مسلم ٢٦٩٤، الترمذى ٣٤٦٧.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَبُ أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ<sup>(١)</sup>.

ودائما ما نجد التسبيح والتحميد في الأذكار والأوراد المأثورة عن المصطفى ﷺ وكان مما يدعو به ﷺ : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لذا.. كان يقول ﷺ<sup>(٢)</sup>: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

والحمد قد قرن في كثير من الآيات بأسماء للمولى -عز وجل- كما هو الحال في سورة الفاتحة، وهذا الاقتران ما دام في كتاب الله -عز وجل- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا بد أن يكون له مقتضى ولقد أوضح ذلك المعنى الإمام ابن القيم رحمه الله فقال: [في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها: ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر<sup>(٣)</sup>].

(١) (صحيح): الترمذي ٣٤٦٢.

(٢) (صحيح): الترمذي ٣٤٦٤، صحيح الجامع ٤٥٧٢.

(٣) مدارج السالكين (١) ص ٤٤.

وهذه الفقرة من كلام ابن القيم رحمه الله تعرض فيها لأسماء الله -عز وجل- التي جاءت في سورة الفاتحة، والتي تلت قوله تعالى الحمد لله في بدايتها؛ فجاء بعد الحمد (لله) رب العالمين (الرحمن الرحيم) (مالك يوم الدين).

وقال -أيضاً- في الموضوع نفسه ضارباً أمثلة على اقتران صفات الله -عز وجل- بعضها ببعض؛ [مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهوَ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ﴾ و"وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" "وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"] فالغنى صفة كمال، والحمد صفة كمال واقتران غناه بحمده كمال أيضاً، وعلمه كمال، وحكمته كمال واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً، وقدرته كمال، ومغفرته كمال واقتران القدرة بالمغفرة كمال، وكذلك العفو بعد القدرة (فإن الله كان عفواً قديراً) واقتران العلم بالحلم، (والله عليم حلیم).

وحملة العرش أربعة؛ اثنان يقولان: "سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك"، واثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، فما كل من قدر عفا، ولا كل من عفاً يعفو عن قدرة، ولا كل من علم يكون حليماً، ولا كل حلیم عالم، فما قرن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، ومن ملك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة<sup>(١)</sup>.

إذاً.. فحملة العرش عملهم الأوحد هو التسبيح بحمد ربهم -عز وجل- يفعلون ذلك آتاء الليل وأطراف النهار لا يسأمون ولا يتعبون ولا يتوقفون.

وكذلك حال جُلِّ الملائكة؛ ألا نستشعر بعد كل ذلك عظم مقام الحمد عند الله - عز وجل - الذي من أجله خلق هؤلاء الملائكة. وكيف أن الحامدين هم صفوة الله من خلقه، إذ أنهم يحملون في قلوبهم نوراً ملائكياً يسمو بهم فوق عرض الدنيا وزهوها، فتراهم يحيون بين البشر بأجسادهم؛ لكن أرواحهم متعلقة برهم - عز وجل - لا يجدون لذة العيش إلا في ذكره وشكره والتسبيح بحمده؛ فطوبى لمن كانت تلك حاله.

اللهم ارزقنا حمدك يا رب العالمين، واجعله ملء قلوبنا وأجره على ألسنتنا، واحشرنا يوم القيامة مع حبيبك محمد ﷺ، حامل لواء الحمد، واجعلنا من أهل الجنان الذين قلت فيهم وقولك الحق: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر ٣٤]

وجعلت الحمد آخر دعواهم: ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس ١٠]